المـادّة النّابِضَـة .....البـُرنوس أنمـوذجـا

قراءة نقدية ثقافية تفكيكية لسردية اللّباس

The Pulsating Substance: Al-Barnous as a Model
A Critical Cultural Deconstructive Reading of Clothing Narratives

ط.د/ مبروكة طهراوي*

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده – جامعة الوادي(الجزائر)

www.ibaaa@gmail.com

أ.د/ يوسف العايب

جامعة الوادي(الجزائر)

youcef-laib@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/01 تاريخ القبول 2024/11/16 تاريخ النشر 2024/12/17

ملخص

إنّ انكسار أسطورة هيمنة الإنسان العقلاني الحداثي ذاتي الانعكاس على ابستيمية الفكر البشري ، وإحالته إلى الغياب واللاوعي النسقي، قد فسح المجال واسعا أمام التفكير المحيط بكلّ الموجودات وخطاباتها والتعامل معها بأفقية لا بهرمية، وبالتالي دخول كل الهوامش لدائرة البحث والتأريخ، وعلى رأسها الجمادات التي تم تهميشها على مستوى اللغة والكلمات قبل فلسفة الأشياء. إننا نقف في هذا المقال على ربوة أحد هذه الجمادات وهو اللباس لننقض سردية أصبحت بديهية؛ "وهي أن اللباس وسيلة سلبية ومادة جامدة، إنه تابع للإنسان يوجهه أينما شاء، ولا هوية أو كينونة له بعيدا عن الإنسان" .ونهدف من خلال دراستنا التفكيكية الثقافيةالناقضة هذه إلى تعرية وهم الحقيقة بجسّ نبض اللباس ـ البرنوس ـ وإثبات حيويته وطاقته التي يقتات عليها اللاوعي، بينما يبخسها الوعي الإنسي المتعالي حقها رغم أنه تابع لها و إن كان صانعها. كما نهدف إلى التأسيس لإستراتيجية بحث

* المؤلف المراسل

وتفكيك جديدة في النقد الثقافي ،عبر استحداث معابر مرور متقدّمة لفلسفة الماورائيات لتخترق جسد النقد الثقافي الإنسي وصولا إلى فضاء النقد الثقافي الكوني.

الكلمات المفتاحية: المادة النابضة، اللباس، البرنوس، النسق الثقافي العام، الجملة الثقافية المادية، النقد الثقافي الكوني، الجملة الثقافية النووية ، المؤلف القنطوري.

Abstract:

The shattering of the myth of the hegemony of rational modern man, reflecting on the epistemicity of human thought and its referral to absence and unconsciousness, has opened up a vast space for thinking surrounding all existences and their discourses, dealing with them horizontally rather than hierarchically. Consequently, all margins have entered the circle of research and historiography, foremost among them the inanimate objects that have been marginalized at the level of language and words before the philosophy of things. In this article, we focus on a summit of these inanimate objects, namely clothing, to rescue a narrative that has become conventional: "that clothing is a passive means and a rigid material, subordinate to humans who direct it wherever they want, devoid of identity or essence apart from humans." Through our deconstructive study, we aim to expose the illusion of truth by feeling the pulse of clothing – the "burnous" – and proving its vitality and energy that the unconscious thrives on, while consciousness, despite being its creator, deprives it of its rightful recognition.
Furthermore, our aim is to establish a new strategy for research and deconstruction in cultural criticism by introducing advanced passages for the philosophy of the occult to penetrate the body of human cultural criticism, reaching towards cosmic cultural criticism.

key words:Vital Material; Clothing;Burnous;Cultural Paradigm; Cosmic Cultural Criticism.

Key words:Vital Material; Clothing;Burnous;Cultural Paradigm; Cosmic Cultural Criticism. nuclear cultural sentence,The author Centauri.

ذكر إدوارد لين الذي جاء مصر في عهد محمد علي أن الكلاب كانت تتجمع حول الشخص المرتدي للملابس الأوربية و تنبح نباحا شديدا. وقد أخذ محمد علي باشا جميع ألوان الحضارة الأوروبية ما عدا الأزياء. فقد كان الشرقيون عامة والمسلمون خاصة يرفضونها رفضا باتا ويرون أنها ملابس اختص بها الكفار فلا يجوز للمسلمين ارتداؤها ، ومن فعل ذلك فقد مرق عن الدين والوطنية .[1]

كلاب مصر إذن تنفر من هذه البدلة الإفرنجية ، أما كلاب بريطانيا فهي متآلفة معها حدّ التوحّد تقترب من لابسها متوددة في غير توجس ، ألهذا الحدّ يكون أثر اللباس و ذاكرته الجينية الثقافية على المخلوقات غير العاقلة ؟ والتي نحمل لها اعتقادا ندحض صحته بالطبع ـ ككل منظومة حقائقنا الدنيوية ـ بأنها كائنات غير مثقفة ! بلى إنها مثقفة ومعيارية .

اعتمادا على هذه الحادثة هل يصح أن تظل سارية فينا سردية أن اللباس يمثّل الجانب الشكلي من الوجود الإنساني أو كما يقول هربرت سبنسر ـ في نظرية البقاء للأصلح" إن الأصل في اللباس الزينة لا الفائدة "[2]

أليس اللباس هنا وهناك ناطقا بعدد الألسن التي تحتل كل الأماكن و الأزمنة ،فله معان غائرة في عمق كل الموجودات المعاصرة له،وله خصوصية غار عليها حتى الحيوان فأوجبت منه ردة الفعل تلك !

لكن ماذا لو سألنا كلاب مصر الآن هل ستنبح نباح أسلافها؟ أم أن ربطة العنق قد ربطت عنقها أيضا فساقتها وألفتها ؟

حتما لن تنبح ؛رغم أن المكان هو المكان والجسد هو الجسد، والدم المصري هو نفسه، إن ما تغير و غيّر هو الزمان، فكما يولد البشر في دوحته،ويكبرون بمعيته وعطاياه ،يهرمون ويموتون بقطع مؤونته كذلك كل شيء في هذا الكون، فاللباس الذي توجست منه كلاب مصر في زمن محمد على يرتديه رؤساؤها ورؤساؤنا الآن وجلّ العالم الرسمي والشعبي!

السبب الآني بحسب تحليلنا يكمن في مقولة "الكلية والزمانية" فارتداء العالم برمته لهذا اللباس و تآلف الجمادات والحيوانات معه يدعونا جديا للبحث في هذه التعليبية التي لم تسلم منها إلا الشعوب التي تسكن الأقاصي في الأدغال ، و ما تزال بعيدة عن متناول أخطبوط الإمبريالية الثقافية التي ترى النظام اللباسي الأوروبي معيارا وكليّة من الكليّات الإنسانية التي يجب أن يتشربها الكلّ البشري ، تضاف لربما إلى الكليات الخمس عند المسلمين " حفظ اللباس الأوروبي" وهو ماحدث بقوة الفعل العسكري و الحضاري و الإعلامي وغيره ،حيث أصبحت البدلة وربطة العنق هي الأيقونة العالمية للتحضر و الأناقة واكتمال إنسانية الجسد ، و امّحت التنوعات اللباسية عالميا و تتكبسل الصورة الصارخة لهذا التعليب في أعلى الهرم ،صورة رؤساء العالم في لقاءاتهم حيث يرتدون نفس اللباس، ومن يحضر بهويته اللباسية يعتبر نشازا كالقذافي و حامد كرزاي . أيضا نراه في صورة ثوب الزفاف الأبيض ، إنها في إحدى وجوهها لعبة إمبريالية منتظمة مخطط لها ،يكشف أدرنو بعض خيوطها بقوله

أنّ(كل ماهو مفرط في نظاميته وسلاسته ينبغي أن ينظر إليه بعين الريبة والتشكيك، على أنه يعكس ضروبا زائفة من التناغم والانسجام تنبعث من المجتمع، والحال أن أدرنو يطلع في النهاية بنوع من القول المأثور المقتضب والجاف يسير بعكس الاتجاه اللوكاتشي " الكل هو غير حقيقي " وقد عنى بذلك أن قوة الإدارة والتسليع تطوق المجتمع ككل ،ليس بقصد إفساح المجال أمام طاقته التقدمية الفعلية ، بل بقصد التلاعب بتلك الطاقة و السيطرة عليها و حرفها باتجاه تعزيز الوضع القائم.[3]

السرّ إذن في انتظام سردية اللباس الأوروبي وسيرورتها العالمية هو أن الجميع تحت وقع إرادة القوة الضاربة عالميا والمتفوقة حضاريا الآن انخرط في حلقة المسيطر عليهم ،و المتلاعب بطاقاتهم الواعية و اللاواعية. لينطق الجسم العالمي الإنسي لغة واحدة جديدة ، والجسم ناطق بملبوسه بحسب فلسفة هيغل : (إن اللباس هو ما يصبح به الجسم دالا) المعاكسة تماما لفلسفة أفلاطون "تكلّم لأراك" الموغلة في الطوباوية و الروحانية وانتفاء الدلالة اللباسية .

إن هذا المنطوق الزمني الجديد " اللباس الأوروبي" سيضع الجميع أمام تحد مفاده "إن لم تكن معي فأنت ضدّي " وبالتالي النطق القسري به أو التشويه والتحقير لما عداه من اللغات الهندامية، نقول زمني لأنه اكتسب دلالته وسطوته بفعل المرحلة الحضارية التي تتموقع فيها حضارة ربطة العنق والميني جيب ، فلو نرجع بالزمن إلى الوراء مثلا لن نجد لهذه اللغة وجودا فالأوروبي نفسه كان لباسه متنوعا وخاضعا لفردانيته الثقافية حسب كل دولة ، وكان العربي بجبته وعمامته قمة من قمم الأناقة والهيبة الرجولة . إن هذا يؤكد لنا أن الزّمن هو الذي ينطق ولغته تتخطى دائرة كيف نعبر باللغة أو كيف نصنع أشياء بالكلمات ،إلى كيف يصنع ويصور ويميت ويحيي الزمن دلالة الكلمات والأشياء؟ لغة الزمن لغة خفية ليست علاماتية بل حسب افتراضنا تقع في مرحلة ما قبل العلامة،هي مصنع العلامة اللغوية التي نتهيأ أنها هي التي تصنع الأشياء بالكلمات، يقرر الزمن أن الوجود بكل موجوداته ينطق لغتين إحداهما رفيعة و الأخرى وضيعة،تتبادل الموجودات مواقعها فيهماعبر الزمن.هما لغتان آنيتان وهميتان لا تستقران على حال ككل الوجود الإنساني الدنيوي،الذي لم يكن انوجاده لذاته ولأجله،بل هو وسيلة ومطية للآخرة في الديانات الإبراهيمية،وهو للمتعة والمصلحة واللذة التي ستنتهي عبر الموت يوما لدى اللادينيين. وبذلك تنتفي عنه حقيقة الجوهرانية ويحال إلى الاستعمالية حسب كل المعتقدات الدينية الكتابية وغير الكتابية وغير الدينية،من هنا فكل لغات الموجودات الناطقة بصوتها و صمتها إنما هي وسائل ميكيافيلة إلى حدّ ما.

واللغة الإنسانية نفسها تعاني الارتفاع و الاتضاع تبعا لتيار الزمن المتناوب على الداوم،وما حدث للغة العربية شاهد على سطوة الزمن ومدلولاته المقامية الزمانية ونشدّد على زمانية المقام التي نجد تمثلها في قول صالح خرفي: "وكان مكتوبا على العربية أن تعاني من أبنائها انحطاطا وتبعيّة ، فهي رمز المقاومة في أيام المحنة وعنوان التخلّف في وقت الرخاء "[4] واللباس لغة من اللغات المادية ،وهو أحد الموجودات الناطقة التي تتغير مستويات تعبيرها وحدّة قولها وشدة إسماعها وتأثيرها بتغير الزمن ومواقع القوة. إنه ليس كما تراه السردية الإنسية : شيئا كماليا و وسيلة شكلية جامدة ،وفي أعلى درجات تصنيفه لديها هو قيمة مضافة للذات الإنسانية المتعالية،بل هو "قيمة موازية للذات وزنه بوزنها " وسيكون هذا افتراضنا الأولي الناقض لسردية اللباس الإنسية ،و بعض إثباتاتها فيما يأتي :

ـ أول عقوبة أنفذها الله في الإنسان كانت هتك الستر عنه ،وخلع لباسه .هنا تتبدى لنا قيمة اللباس ووزنه في معادلة الذات الإنسانية عند الخالق و المخلوق حتى قبل الحياة الأرضية .بل وحاجة هذه الأخيرة له، فأول علامات الكائن الأرضي التي ظهرت على آدم وحواء ،هو أنه كائن لباسي بامتياز يستحيل عليه اكتمال كينونته بدون اللباس،إنه ضعيف بعورته قوي بلباسه .

ـ عندما يخرج الإنسان من بطن أمه تكون حاجته للباس قبل حاجته للطعام ، وبالتالي يلف بقطعة قماش و يلبّس ما يستره و يكمل إنسانيته ويكرمها.

ـ هل تستطيع الخروج عاريا ؟ ماذا لو أخذت لك صورة وأنت عار؟ إلى أي حدّ سيتم ابتزازك بخارطة جسدك الذي يتعالى بعقلانيته وجماله وفرادته وسيادته الأرضية الدنيوية و الأخروية؟ ماذا لو رأيت رجلا يرتدي لباسا أنثويا أو العكس؟ هل سيكون الأمر عاديا ولا تلقي له بالا ،أم أنه سيسترعي منك كلّ الانتباه و سيحدث فيك عظيم الأثر ؟

فلسفيا نستطيع أن ندرج افتراضنا القائل بكينونة اللباس وحيويته تحت فلسفة النظرية النقدية وبالضبط "النظرية المادية الثقافية" التي تصفها جنيفر كوتر بما نصه:"إن المادية الجديدة هي جزء من تحول أكبر في ما بعد الإنسان في النظرية النقدية ،إنها تلخص الأمر في "أنطولوجيا" جديدة "للعلاقة بين الحياة والمادة التي تزيح مركزية الإنسان وتؤكد أن كل المادة تتمتع ب"الحيوية" و"الحياة" و"التأثير" و "الفاعلية" ، تعمل المادية الجديدة على توسيع مفهوم الفرد في الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي ليشمل الآن الأشياء التي لها "قوة الشيء" الخاصة بها "[5] إنه شيء شبيه تماما بما قاله ميشال فوكو عن الذات بأنها منصب يحتله الإنسان أو اللغة أو الأشياء ، قرينة تحقق امتلاء كرسي منصب الذات هو امتلاك القوة والبرهنة عليها بالأثر المحسوس المغير في الواقع .

هنا ينتقل مفهوم الفرد حسب المادية الثقافية من خطّ الشحن الإنساني ليصبح مجرد نقطة شاردة في فضاء الاقتصاد الثقافي مابعد الحداثي،حيث يمكن أن يمثله أي شيء له قوة وتأثير ، لتفردنه وتعطيه خصيصة الإنجازية والذاتوية . لكن ماذا لو قرأنا واقعنا العالمي؛ إنه يعيش مرحلة حضارية شكلية بامتياز ،مهووس بالموضة والتجميل والنحت والشفط والسيلفي،وبالتالي لربما يصحّ قولنا أن اللباس الآن انتقل في الواقع بالفعل من مستوى اللغة المنطوقة الحداثية الهيغلية إلى مستوى الفرد النابض بالحياة ،الناطق الذي له حضوره ،وأسهمه وإسهاماته في بورصة الاقتصاد والثقافة الإنسانية خاصة والأرضية عامة. إنه بحسب افتراضنا الأولي "**مادة نابضة** "وفق النظرية النقدية المادية التي تتفرع عنها فكرة " المادة النابضة " لجين بينيت حيث اتخذتها *عنوانا لكتابها وفيه قالت:* " أن نيتها من ورائه هي المعالجة ببطء لفكرة تمر بسرعة عبر الرؤوس الحديثة: فكرة المادة باعتبارها مادة سلبية،خاملة.....لقد تكيفنا على تجاهل حيوية المادة والقوى الحيوية للتكوينات المادية"[6] كالقول بأن الأرض والجبال و الشجر و المعادن و اللباس وجلّ أو كلّ الموجودات الطبيعية والصناعية سلبية ،مفعول بها على الدوام ، لدرجة أن الإنسان قَمْقَمَهَا تحت مسمى "**الجمادات** " منذ الأزل والإنزال الإنسي على الأرض، رغم أنها انوجدت على الأرض قبل انوجاده فيها .هي جمادات ساكنة مع أن الله الذي خلق الطبيعية منها نفى عليها صفة الجمودية على الإطلاق و أقرّ قوة الشيء فيها في مثل قوله تعالى :

{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَاتَفْعَلُونَ.}[7]

وفي القراءة العلمية وتفسير هذه الآية نجد : "فكما لا يتحرك السحاب بذاته ولكنه محمول على الرياح والهواء الساخن الصاعد إلى أعلى و الهواء البارد الهابط إلى أسفل ، كذلك الجبال يظنها الناس جامدة في مكانها ، ولكنها في حقيقة أمرها تمرّ مسرعة محمولة على الأرض مع حركتها المحورية و الانتقالية وهذه الإشارة القرآنية الكريمة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا لم يعرفها العلم الوضعي إلا مؤخرا."[8]

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا }[9]

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: وهو تعبير تنبض به كل ذرة في هذا الكون الكبير ، وتنتفض روحا حية تسبح الله . فإذا الكون كله حركة وحياة ، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة شجية رخية ،

ترتفع في جلال إلى الخالق الواحد الكبير المتعال . وإنه لمشهد كوني فريد ، حين يتصور القلب . كل حصاة وكل حجر . كل حبة وكل ورقة . كل زهرة وكل ثمرة . كل نبتة وكل شجرة . كل حشرة وكل زاحفة . كل حيوان وكل إنسان . كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء . . ومعها سكان السماء . . كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه . وإن الوجدان ليرتعش و وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه ، وكلما همّت يده أن تلمس شيئا ، وكلما همت رجله أن تطأ شيئا . . سمعه يسبح لله ، وينبض بالحياة " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " (يسبح بطريقته ولغته) ولكن لا تفقهون تسبيحهم (لا تفقهونه لأنكم محجوبون بصفاقة الطين ، ولأنكم لم تتسمعوا بقلوبكم ، ولم توجهوها إلى أسرار الوجود الخفية ، وإلى النواميس التي تنجذب إليها كل ذرة في هذا الكون الكبير، وتتوجه بها إلى خالق النواميس ، ومدبر هذا الكون الكبير . وحين تشف الروح وتصفو فتتسمع لكل متحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح ، ويتوجه بالتسبيح ، فإنها تتهيأ للاتصال بالملأ الأعلى،وتدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون ، الذين تحول صفاقة الطين بين قلوبهم وبين الحياة الخفية السارية في ضمير هذا الوجود ، النابضة في كل متحرك وساكن ، وفي كل شيء في هذا الوجود. " إنه كان حليما غفورا" (وذكر الحلم هنا والغفران بمناسبة ما يبدو من البشر من تقصير في ظل هذا الموكب الكوني المسبح بحمد الله ، بينما البشر في جحود وفيهم من يشرك بالله .[10]

ولربما سنضيف لما قاله سيد قطب بشأن قصور الفكر البشري و جحوده في حق مولاه ، جحوده في حق ما خلق مولاه من كائنات و ماديات وأشياء فلا يعطيها حقها ولا يقرّ بدورها ومقامها المحفوظ في اللوح المحفوظ .

وكانت علاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الجمادات و الحيوانات وطيدة حدّ الحب و الغيرة فقال في حق ناقته: ((والله مَا خَلَأَت القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ(أي عادة) ولَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ))[11] وقال في جبل أحد : ((جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّه))[12]

لقد بلغت درجة التعلق و التوادّ بين رسول الله والجمادات درجة الأنس والحنين و التآلف الوجداني.

كل هذه الدلائل و قراءاتها وتفسيراتها العلمية والدينية نتحسس بها النبض المادي للأشياء والكائنات، إنها على مستوى النظام الكوني بكله تعتبر أدلة إلاهية على سقوط أسطورة الجمودية ، وانكشاف زيفها ، لأن كل مادة إنما خلقت حية بقدر ، و لقدر حيّ ،بل بعضها يرقى لرتب عليا ، فيصبح مصدرا لحياة هذه الأنا الإنسانية المتعالية ، كالماء {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}[13] كلها مُسَخّرة لخدمة ما،و لا تسخير لجامد! لقد نسيت السردية الإنسانية حول المادة

عامة أنّ حركية هذه الجمادات تخلق حياته وزمانه إنها تلد الليل و النهار الذين يحيا فيهما الإنسان وتنمو في دقائقهما مصالحه الدنيوية والأخروية ،و تفرض هذه الجمادات سلطانها في موقعة أنشطته الحياتية {وَجَعَلْنَا الليل لِبَاساً . وَجَعَلْنَا النهار مَعَاشاً}[14] بل وأكثر من ذلك إن جسدنا المادي منسجم ومتواطئ مع هذه المواد النابضة ضدّ أهوائنا الإنسانية الخالصة، فالحقائق العلمية كلها تشير إلى أن الليل للنوم و أن للسهر أضرار و مخاطر ولنوم النهار أضراره أيضا.

إن القول بالمادة النابضة يحيلنا رأسا إلى التحلّل من الإنسان الرابع[15] بكلّ محمولاته الثقافية والفكرية و الكفر بالأنسنة ونزعاتها، وإنزال الإنسان من برج سيد المخلوقات ليتساوى مع كثير من الموجودات ، بل تفوقه أحيانا كما رأينا بشأن الجمادات ، وكما سنرى بشأن الكائنات الحية الأخرى التي لن نخرج في سبيل إثبات فرضية تفوقها عن الجسد الإنساني " وفي أنفسكم أفلا تبصرون "إن جسدنا "الخاص" مادي، إلا أن هذه المادية الحيوية ليست بشرية بشكل كامل أو حصري. يسكن جسدي،ويتكون من أسراب مختلفة من الأجانب... تمتلك البكتيريا الموجودة في الميكروبيوم البشري بشكل جماعي ما لا يقل عن مائة ضعف عدد الجينات التي تمتلكها مجرد 20000أو نحو ذلك في الجينوم البشري... نحن بالأحرى مجموعة من الأجسام، العديد منها مختلف ،أنواع منها في مجموعة متداخلة من الميكروبات."[16] التي تستطيع أن تقلب الطاولة على الإنسان فتحدث فيه اختلالات تؤدي إلى أورام وسرطانات دون أن يعي هذا الكائن العاقل السيّد ما يحدث داخله من مؤمرات قاتلة ضدّه .وتغلبه في نهاية الأمر و كأنها تنتقم منه ومن تقزيمه لدورها في استقامةحياته الأرضية،فتكون وفاته شهادة إقرار منه بضعفه وهزيمته أمام هذه القوى الغازية . فلماذا و قد" خلق الإنسان ضعيفا"إلى هذا الحدّ نجد داخله هذه النظرة الأصولية تجاه ما عداه من المخلوقات والمواد النابضة تحتلّ الفضاء الكوني كله؟

إذا كانت الثقافة الإنسانية متشابكة بشكل لا ينفصم مع قوى غير بشرية نابضة بالحياة،وإذا كانت القصدية البشرية لا يمكن أن تكون فاعلة إلا إذا كانت مصحوبة بحاشية واسعة من غير البشر، فيبدو أن وحدة التحليل المناسبة للنظرية النقدية ليست الإنسان الفردي ولا الإنسان على وجه الحصر.[17] لهذا اجترحت بينيت مفهوما آخر لثنائية الذات والموضوع يتجاوزالمبتافيزيقا الإنسانية و مفهومها المستخدم لتقصير ثنائي الذات/الموضوع القائم على فاعلية الإنسان و أنه هو من يسكن قصر الذات ، المفهوم الجديد يتطابق مع مفهوم فوكو والمادية الثقافية ، يقوم على أن" الفاعل هو مصدر الفعل

الذي يمكن أن يكون إنساناً يا أو غير إنساني؛ إنه كل ما يتمتع بالفعالية، ويمكنه فعل الأشياء، ولديه ما يكفي من التماسك لإحداث فرق، وإحداث تأثيرات، وتغيير مسار الأحداث .إن "الكفاءة تستنتج من أدائها بدلا من طرحها مسبقا" [18] كبعد هووي جوهراني للإنسان.

حسنا الآن بعد إنزال الإنسان من مقام الأنا الإنسانية المتعالية المتوحدة مع ذاتها،إلى منزل الأنا التشاركية المتوسّلة بكل شيء لتستمر حياتها؛ وبالضبط بعد تبادل الأدوار بين الإنسان الرابع الذي لامكان له في فضاء تنبض فيه المادة وتحيا و بين الإنسان الخامس المابعد حداثي الذي سيحتلّ الفضاء ،نجد أنفسنا مقتحمين بسيل من التساؤلات البرهانية البدائيةمن قبيل:

هل تكون الحياة الإنسية بدون ماء ونبات على الأرض؟

هل يصحّ عيد الأضحى بدون حيوان يضحّى به؟

هل يصحّ الحج بدون جبل عرفة؟

هل يصحّ الحجّ بدون ثوب ؟ و بأي ثوب ؟ وهل تصحّ وتكون الصلاة بدون ثوب؟ و بأي ثوب؟

هل يمكن لمريض أن يُشفى من مرضه لمجرّد فحصه من طرف طبيب دون استخدام أدوية؟

هل يمكن لأفضل جراحي العالم أن يجري عملية دون مشرط أو أدوات الجراحة أو أي أداة حادة، ويستغني عنها بذكائه الإنسي ومعرفته الطبية وطاقته الإيجابية التي يشحن بها مريضه؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون إجابات بسيطة يفهمها حتى تلاميذ المدارس الابتدائية، ويستطيع الإجابة على بعضها : فلا حياة بدون ماء، والحج عرفة،وأما الثوب فهو ركن مكين في الحياة وفي الصلاة والحج وهو من شروط الحج حتى في الجاهلية وله صفاته الخاصة ؛حيث (إنّ الناس القادمين لآداء مراسيم الحج في العصر الجاهلي و لا سيما الأعراب منهم الذين كانوا يرتدون الشملة و البجاد والبت والعباءة وغير ذلك، كان لابد لهم إذا ما أرادوا أن تقبل حجتهم وطوافهم من قبل الآلهة الذين كانت لهم أصنام في داخل،وخارج الكعبة المشرفة إلا أن يطوفوا بالإزار والرداء،وهما لباس أهل الحرم وهم بطن من قريش وسدنة الكعبة المشرفة.هذا ما كان يقوله لهم سدنة الكعبة المشرفة وكهنتها في العصر الجاهلي ،نعم إن حجيج بيت الله خلال العصر الإسلامي لا يحجون أو يطوفون في موسم الحج ، وربما العمرة أيضا إلا بالإزار و المئزر ، إنهما قطعتا اللباس المعروفتان في يومنا هذا بلباس الإحرام أي بلباس الحرم .مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحدد للحجيج ذلك و إنما جاء في الحديث الشريف " قام رجل قال يا رسول الله ما تأمرنا أن نلبس إذا أحرمنا؟ قال:لا تلبسوا القميص و السَّروايل والعمائم و البرانس و الخفاف إلا أن يكون رجل ليس له نعلان فليلبس الخفين أسفل من

الكعبين و لا تلبسوا شيئا من الثياب مسه زعفران ولا ورس " فمن البديهي أنه لم تبق من قطع الملابس المهمة الأخرى التي ممكن أن يستعين بها الحجاج سوى الإزار و المئزر. ثم إن الغالب على لباس الإحرام عبر العهود الإسلامية المتعاقبة و حتى يومنا هذا هو البياض ربما جاء ذلك من السنة النبوية المطهرة حيث ورد في الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((البسوا البياض فإنها أطهر و أطيب ، وكفنوا فيها موتاكم .))[19]

أما الإجابة عن إمكانية أن تشفي الطاقة الإنسانية الخالصة لطبيب ما مرضاه ، وتعالجه دون التوسل بأي مادة فهو يعتبر في الغالب نوعا من الدّجل و الخرافة ، شبيه بأفعال السحرة و طاقة السّحر التي يكذّب بها الطبّ الحديث ، رغم أنها في جانب من حقيقتها ليست طاقة إنسانية خالصة بل تتوسل بالجنّ.

لذا آن لنا أن نقرّ نحن البشر بأن حياتنا و إنجازاتنا و متعنا في الفرح ومواساتنا في القرح كلها لا تتم بنا وحدنا ،ولسنا نحن مركز الكون فحاجة المكونات الكونية والأرضية الأخرى لنا أقلّ من حجم حاجتنا لها. وآن لنا أن نحرث في نسقياتنا الصانعة المانعة لنا من رؤية حقيقة ضعفنا و مسلمة أن قوتنا تكاملية وليست ذاتية فردانية .

فعلى مستوى اللباس مثلا ـ بما أننا اخترناه جسدا للتشريح الثقافي والتقفي النسقي في هذه الدراسة الومضية التأسيسية لمشروعنا الثقافي ـ يجب الخروج من العلاقة الضدية بين الظاهر والباطن و كسر أصنام التحقير للباس و التقديس للفكر واللغة والتدين المسيطرة على مستوى المعقولية العربية الرسمية المنمذِجة على أقل تقدير منذ عصر صدر الإسلام ـ بما أن الإسلام دعا للبعد عن مظاهر الخيلاء والكبر والتنافس في الشكليات والاشتغال على تزكية النفس و تنمية الروحيانيات ـ وشَرْخِ أسطورة " تكلم لأراك الفلاطونية " التي ترجمها العرب أقوالا و أفعالا فلا يهمّ ما تلبس بل ما تحمله من فكر وما تخرجه من درر،فأساطيرنا الأخلاقية و سردياتنا العربية كلها لها إحالة مركزية واحدة خادمة لنسق تهميش كينونة اللباس على مستوى الوعي و تقديسها على مستوى اللاوعي،ومن قبيل ذلك ما ذكر في أخبار الأولين كقصة معاوية و النخار العذري حيث دخل هذا الأخير (على معاوية فازدراه فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك،إنما يكلمك من فيها،فملأ سمعه حكمة ونهض ولم يسأله شيئا،فقال:ما رأيت أحقر أولا ولا أكبر آخرا منه. وعاتب يحي بن خالد العتابي في خلق ثيابه فقال:أخزى الله من ترفعه هيئتاه :ثيابه و جماله، ولم يرفعه أكبراه همته و نفسه،إنما الهيئة للأبناء و

النساء . وقيل لا يسود الرجل حتى لا يبالي في أحد ثوبيه ظهر، وقال البحتري و كان وسخ الزي والهيئة:

وليس العلا دراعة ورداءها ولا جبة موشية وقميصها

وقال أبو هفان :

تعجبت در من شبيي فقلت لها لا تعجبي فطلوع الشمس في الصدف

وزادها عجبا أن رحت في سمل ومادرت در أن الدُّرَّ في الصُّدف.[20]

كذلك ما نسب للإمام الشافعي من قول يعزف على نفس السردية حدّ الغلو الباطني :

وَاِعلَم بِأَنَّ العِلمَ لَيسَ يَنالُهُ مَن هَمُّهُ في مَطعَمٍ أَو مَلبَسِ

لا أَخو العِلمِ الَذي يُعنى بِهِ في حالَتَيهِ عارِيا أَو مُكتَسي [21]

لأجل ماسبق ذكره،وعلى اعتبار ماسيأتي؛صار لزاما انتهاك هذه المتعاليات الثقافيةو الأخلاقية المطلقة من طرف الإنسان الخامس الواقف على الأعراف بين وعيه و لاوعيه؛عين على إكراهات الوعي ومصلحياته،وعين على مخاتلات اللاوعي و ألاعيبه، كلها أساطير ترسّخ نسق الزَّهْدَنَةِ الشكلية وامتهان الجمال الجسدي الإنسي لصالح وهم الكمال الروحي،وتشحذ المعقولية العربية الشعبية المستهلكة للأنساق الأخلاقية بالمفهوم النيتشوي على استهلاك وإعادة إنتاج سردية تهميش اللباس، وثانويته في معادلة الحياة الإنسانية و الكمال العقلي البشري. أما الأساطير المتداولة على مستوى السوق الثقافية الرسمية العربية و الإسلامية فهي مخالفة تماما للأسطورة الشعبية ، حيث كان الخلفاء والملوك والرؤساء يقدّسون الشكل ويعتبرونه رأس الكمالات و ضامن الكينونة وقد اهتم الخلفاء والملوك العرب و المسلمون في مختلف العصور باللباس و بالغوا ،فبلغوا في بعض المراحل الحضارية حدّ البذخ و لبس ما حرّم الله من الحرير و الذهب و غيره بالنسبة للرجال.وهنا يجب أن نذكر بعض الاستثناءات التي توحّد فيها رأس الطبقة الرسمية الفاعلة ثقافيامع سردية الطبقات الشعبية المفعول بها في حكم بعض الخلفاء الزاهدين كعمر بن الخطاب الذي فتح القدس بثوب مرقع و الخليفة عمر بن عبد العزيز.

البرنوس[22] ....كائنٌ حيٌّ:

نُقِلَ عن المؤرخ البريطاني أرنولد تومبي عند ما رأى لباس زعيم ومحرر الهند المهاتما غاندي، قوله:(إذا كان هذا هو لباس زعيم الهند فإن بريطانيا لا يمكن أن تبقى فيها)، لهذا الحد كانت سطوة اللباس

وكينونته الحية النابضة مؤثرة ليس في الواقع بل في المستقبل والاستشراف التاريخي للبقاء البريطاني لدى تومبي ، واللافت في هذا الانطباع، أن لباس المهاتما غاندي كان يشبه إلى حد كبير لباس المسلمين في الحج.

نظريا نستطيع الاعتضاد في إثبات كينونة اللباس ونبضه بأعمال رولان بارط النقدية حول الموضة والأزياء حيث قام بعملية إسقاط بين اللباس و اللغة نظرا لوجوه تماثل و تشابه تقليدي بينهما،حيث يرى بارط أن الزي أو الكسوة ونظام اللباس لمجتمع ما يمثل اللسان في عموميته وقواعديته، فاللباس الفردي لكل إنسان هو بمثابة الكلام و أما وجه الشبه فهو وجود المعنى والدلالة في عالمي اللغة واللباس وبذلك اعتبار اللباس لغة مع فارقية في العلاقة الجدلية بين اللغة والكلام والزي العام واللباس الفردي ،وفي هذا يقول (إن الفرق التقليدي بين اللسان و الكلام موجود في اللباس المرتدى أو الواقعي كما أشار إلى ذلك تروبتسكوي من قبل ، يتكون اللسان اللباسي من:

1/ تعارض الأثواب أو القطع أو التفاصيل التي يؤدي التنويع فيها إلى تغيير في المعنى " إن ارتداء الطاقية ليس له نفس معنى ارتداء القبعة.

2/ القواعد المتحكمة في الجمع بين الأثواب سواء طول الجسم أو بحسب الكثافة. ويشمل الكلام اللباسي كلّ وقائع الصناعة الفوضوية للألبسة "لم يبق منها شيء اليوم في مجتمعنا " أو وقائع الارتداء الشخصي للألبسة " قياس اللباس ، درجة نقائه وبلاه ، والعادات الشخصية ، والجمع الحر بين الأثواب .أما فيما يخص الجدلية التي توحد هنا الكسوة "اللسان" بالارتداء " الكلام" فهي لا تشبه جدلية اللغة .من المؤكد أن الارتداء يستقى دائما من الكسوة إلا في الحالات الشاذة التي لها هي بدورها أدلتها ، لكن الزي يسبق – على الأقل في زمننا هذا- الارتداء لأنه يصدر عن مصنع الخياطة، أي عن فئة قليلة رغم أنها مجهولة جدا أكثر من جهل الناس بالقائمين على الخياطة العليا.[23]

من هنا فإن دلالات اللباس تتوافق بوجه من الوجوه مع اعتباطية العلامة اللسانية الآدمية ، فهو حي ذو طاقة سلبية أو إيجابية تماما كصانعه،طاقة أحرقت الخليفة عمر بن الخطاب الذي" خلع عن نفسه لباسا رومانيا فخما لأنه شعر منه بخيلاء لم يشعربها قبلا وعاد إلى لباسه البدوي حتى تعود إليه سذاجة نفسه."[24]وهي التي شحنت السفير الجزائري في باكستان محي الدين عميمور الذي تعرف لأول مرة على روح البرنوس ،وقد حال العمى النسقي والإرث الثقافي الاستعماري بالجزائر عن رؤيته له ، رغم أنه يرتديه منذ سنين فكتب عن تجربته الوجودية التكاملية مع برنوسه الذي تعاظم ،و حلق وحمله عاليا في سماء إسلام أباد يقول:

لم أكن أتصور أن يكون للبرنوس في حياتي دورا غير دور رداء أتقي به البرد ، ولكن الذي حدث كان غير ذلك .... ففي أوت 1989 تم استدعائي من طرف وزير الخارجية الأخ بوعلام بسايح ليخطرني ...بأن الرئيس قرر تعييني سفيرا للجزائر في باكستان....كانت هناك نقطة أخرى حرصت على أن أعرفها، وهي قائمة السفراء الذين سيقدمون أوراق اعتمادهم معي، وعلمت أن من بينهم سفير كل من المغرب وإثيوبيا .وأصبتُ بالذعر، فقد توقعت أن السفيرين سيرتديان ملابسهما الوطنية، وللحظات، تخيلت وقع هذا على الساحة الباكستانية، وما يمكن أن يدفع له من مقارنات، وكان عليّ أن أتصرف بسرعة وأن أتحمل مسؤولياتي، كمناضل عاش أسلوب بومدين، وتعلّم في مدرسته، فلم تكن لدي نصوص تحدد ما يجب أن يرتديه السفير الجزائري، الذي تترك له الحرية المطلقة ليرتدي ما يفضل ارتداءه من ملابس، وهي غالبًا، الملابس الأوروبية....وفي اليوم الموعود، كنت بالغ التوتر وأنا أجتاز ساحة القصر الجمهوري، الذي يطلق عليه اسم "إيوان الصدر" في عربة تجرها الخيول، قطعت بي مسافة رمزية لا تتجاوز مائتي متر، وأحسست، وأنا أستمع لما بدا لي وكأنه النشيد الوطني الجزائري، بأنني أحمل الوطن كله على عاتقي، ثم قمت باستعراض حرس الشرف على أنغام الإيقاع الثلاثي، وعلى كتفي البرنوس الوبري قهوي اللون.وساعدني البرنوس على إخفاء اضطراب خطواتي الأولى، وربما ساعدني أكثر، ما بدا لي من أنّ الحضور كانوا يركزون بصرهم على البرنوس أكثر من تركيزهم على من يرتديه، وهكذا تمكنت من استعراض حرس الشرف وكأنني أمارس ذلك يوميًا. ومر حفل تقديم أوراق الاعتماد بسلام، لكن الذي حدث هو أن البرنوس أصبح حدث الموسم وحديثه في إسلام أباد، ولعله كان أحيانًا، بما يثيره من تساؤلات حول لونه ومادته الأولية، فرصتي للحديث في القضايا التي ترتبط بالعلاقات بين البلدين، سواء مع الرئيس غلام اسحاق خان، أو مع السيدة بنظير بهوتو، أو مع أمها السيدة نصرت بهوتو، أو بعد ذلك مع رئيس الوزراء الشاب نواز شريف، أو مع أعضاء الحكومة ومسؤولي الأحزاب السياسية على اختلاف درجاتهم، وبالطبع مع القيادات الدينية وفي مقدمتهم القاضي حسين أحمد، أخطر الزعامات الدينية، وآخرين لعلهم رأوا في استعمالي للبرنوس، نوعًا من التمسك بالتقاليد والتعبير عن الأصالة، وربما "الأصولية !!"، وساعدني ذلك كله في مهمتي.

لكن أفضال البرنوس لم تقف عند هذا الحد.فمجتمع إسلام أباد المخملي الراقي رأى في البرنوس نوعًا من الأناقة، وكان مما يداعب غروري في الأيام الأولى لوجودي في باكستان، وأنا أدخل إحدى الحفلات العامة واضعًا البرنوس على كتفي، أن ألحظ، من زاوية العين، رؤوسًا تدور متابعة خطواتي، ومحاولات للتعرف على شخصي، كمقدمة للتعرف على بلدي، تبدأ غالبًا بالسؤال عن اسم

هذا"الشيء الرائع" الذي أضعه على كتفي.ولو كان الأمر بيدي لفرضت استعمال البرنوس كجزء من اللباس الرسمي لكل سفير جزائري، خاصة في الدول التي تفرض تقاليدهااستعمال الملابس الرسمية، كملابس"الإسموكنغ"أو"الردنغوت"أو البونجور "أو"الوايتتاي[25]

1/تفكيك الجملة الثقافية النووية :

نظريا وعلى حسب هوى الحقيقة الذي يتملكنا الآن هي الجملة الوازنة للنص بكلّه، سُرَّتُه،وهي أيضا النواة الحاملة لتمثلات كل الدلالات التي سترد بعدها ، ويمكن لنا أن نتنبأ بتلك الدلالات وفلكها الذي تدور فيه انطلاقا من تفكيك المفاعلات النسقية الثقافية لهذه الجملة فقط، وبمفهوم علمي بيني نحدد لها المفهوم الآتي : هي DNA الخطاب على عمومه وبكل لغاته وسيميائياته ، إنها حمضه النووي الذي يحتوي على المعلومات الوراثيةالخطابية والنسقية الثقافية اللاواعية والواعية وطرق اللعب على حبليهما ،و التعليمات اللازمة للنمو والتطوّر والتكاثر بالإضافة إلى أنه يحمل تعليمات بناء الدلالات المقامية الضرورية لنمو النسق الثقافي ،ويتمّ هذا البناء بالاشتراك مع مكملات النسق كالنحو الثقافي ،والفيتو الثقافي . لذا سنجازف وبثبات بتصنيف هذه الجملة جملة نووية ثقافية لهذا النصّ:

(لم أكن أتصور أن يكون للبرنوس في حياتي دورا غير دور رداء أتقي به البرد ، ولكن الذي حدث كان غير ذلك)

افتتح عميمور مقالته بها وهي تمثل لحظة انقلاب نسقي،و إقرار واع بجرمّ لاواع ،بأنه كان رهينة "**نسق التعالي الإنسي** " " نسق الإنسان مركز الكون وسيد المخلوقات و الموجودات" الذي أوقعه لسنين في حالة العمى النسقي الكلي التامّ،نستطيع توصيف هذه الجملة المكَبْسِلة لكل المقال بكل التوصيفات إلا أن تكون "جملة ثقافية " بالمفهوم المتداول لهذه الجملة في أدبيات النقد الثقافي،فهذا أمر منفي تماما عليها لسبب بسيط ،وهو انتفاء وجود النسقين المتناسخين ،هنا لحظة انهيار جدار الصمت النسقي،و توحّد الوعي و اللاوعي وانصهار النسقين في نص واحد يمثّل لحظة بوح واعتراف أوغسطيني عملا بالتقليد النصراني :"اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ" هنا اعترف عميمور بخطيئته على العلن في حق البرنوس التي استمرت 50 سنة كأقل تقدير ؛ فهو من مواليد1935 وتقلد منصب السفير في باكستان سنة 1989 . كان قديسا من نوع آخر يتعبّد في محراب نسق اللوغوس

البشري،تحرر من ربقة هذه الثقافة الإنسية واملاءاتها ،هتك سترها وكشف سرّها،أقرّ بارتهانه لعقيدتها الفاسدة سنين عديدة إلى أن حررته باكستان أخيرا.

لكننا نراها بدرجة أولى ليست زلّة عميمور بقدر ما هي خطيئة الثقافة في حقه إذْ أنها بانية تصوراته التي حجرت على تصوره حول اللباس في "اتقاء البرد"،لهذه تستحق هذه الجملة أن ننحت لهاتوصيفا جديدا يليق بها وبلحظة الإشراق الصوفي الثقافي التي أنجبتها،وكتبتها هذه وقليلا ما تنوجد هذه اللحظات،سنصفها بدءا بأنها **"جملة ماوراءثقافية"**أو**"ميتاثقافية"**لكن مهلا يجب أن نختبر صلاحية مصطلحنا هذا ومدى توافقه مع محمولاتها الثقافية و انتصاراتها النسقية .

سميناها ماوراء ثقافية لأنها جملة تخرق قاعدة المؤلّف المزدوج المكينة في النقد الثقافي في نسخته العربية،فالثقافة بماأنها المؤلّف الأوّل لا أثر لها فيها،نظرا لضحالة التمثيل الإنساني فيها فلا سيادة ولا مركزية للإنسان فيها،ومنه فإننا سنقول مبدئيا أن هذه جملة كتبها مؤلّف واحد هو **"الإنسان الخالص"** وهو في نفس الوقت **"الإنسان المستحيل!** " عن ثقافته،حيث أنها تقدح في الثقافة الإنسية و تقدّم الثقافة المادية الحيوية النابضة للأشياء ،هي تتعالى عن الثقافة الآدمية وترسانتها النسقية اللاواعية ولغتها التي تخطّ بنفسها دائرة دلالتها وقائمة مسموحاتها وممنوعاتها التجاورية و القيمة السوقية لأسهم الكلمات و الجمل في السوق اللغوية .

تمثل مقولته (لم أكن أتصور أن يكون للبرنوس في حياتي دورا غير دور رداء أتقي به البرد) شهادة وفاة للمؤلّف الثقافي ، وشهادة ميلاد للمؤلّف الإنسان الناطق في لحظة انعتاقه من مشنقة أنساقه بما يريد بعيدا عن الثقافة و اكراهاتها،وهنا قد أقرّ عميمور الإنسان بقصور تصوره حول البرنوس، لقد فضح إحدى أعتى السرديات الإنسية الكاذبة **"سردية إنّ اللباس وسيلة جامدة يحركها ربّها الإنسان"** بعد أن عاش تجربة شعورية تواصلية حرّكها البرنوس. أما تتمة جملته " ولكن الذي حدث كان غير ذلك ...." فهي الجزء الأهمّ لأنها تختزل كل الحجج والبراهين العينية واللمسية و الحسية والوجدانية والسياسية والثقافية الوارد أدناه ، فكل ما تمّ سرده بعدها إنما هو شرح لها .

هنا سنصل مباشرة إلى نتيجة مفادها أن هذه الجملةالافتتاحية ؛أولا هي خارقة لكل قواعد النحو الثقافي لأنه سُمِح فيها بتجاور إيجابي بين اللباس المفعول به على الدوام وبين الإقرار بالتأثيرية والقوة و الإيجابية له،وثانيا إنها حاملة في طياتها نعيًا مبطنا للنسق الثقافي الإنسي فهو الغائب تماما فلا أثر لوجوده سوى جثة تصور كان يحملها محي الدين نفاها بعيدا عنه بحرف " لم " في قوله " لم أكن

أتصوّر" وللمفارقة والضعف البشري هنا، فالإنسان حتى في لحظة توهّجه الذاتي الخالص بعيدا عن نسقه ــ وهي لحظة ومضية سريعة الانقضاء لأسباب سنوردها لاحقا ــ يقرّ بأنه ليس صنيعة نفسه ،وأن مداركه كلها مستعارة من مرايا الثقافة ، وهو رهن تصوراتها التي أصبحت تصوّراته ودافع عنها سنين قبل تجربته الشعورية الكونية مع برنوسه ، لكنه حتماسيرجع لها بعد ذلك ،فالثقافة الإنسية وتصوّراتها لا يمكن بحال قتلها بالضربة القاضية لأنها ملء الضارب وأنفه الأجدع ، فلا فكاك له منها على الدوام بل على البرق. وثالثا الفاعل الثقافي أصبح مفعولا به وهو أمر تؤكّده شروحات " ولكن الذي حدث كان غير ذلك ...." التي بينت كيف أن البرنوس كان فاعلا ماديا و ثقافيا بامتياز بإقرار عميمور نفسه.

هذه الجملة الثقافية النووية تمثل لحظة انكشاف نسقي،وصف نسقه ميشال فوكو بأنه يتراجع كلما كشفناه،كلما انكشف. ففيها تراجع نسق الإنسان الرابع اللوغوسي المركزي المتوسل بكل شيء، الميكيافيلي اللئيم مع كلّ وسائله،مدعي التنوير ، ثم نزل إلى قاع المضمر الثقافي المكشوف . وارتقى نسق الإنسان الخامس الشكوكي داخل السفير ونطق بهذه الجملة الناصرة لأحد الجمادات التي لطالما قزمت الميتافيزيقا العربية والإسلامية والإنسانية دوره و غمطت حقوقه ، إنها جملة تحاكي البرنوس نفسه الذي حلق في سماء إسلام أباد ،هي أيضا ترفرف عاليا في سماء الوجود الأرضي الذي يعجّ بكلّ الثقافات والسلوكات الخاصة بكلّ الكائنات والموجودات ،وتُقِرّ بحقّ أحد هذه الموجودات " اللباس " في الوجود والحضور و التعبير والتأثير ، حقه في أن تكون له ثقافته ونسقه ولغته، قوته وطاقته التي تصيب الرؤساء و السفراء بالذعر حتى وهم رهائن النسق ولم يدركوا بعد كينونة اللباس. وحقّه أن يتمّ الإقرار بإسهاماته الثقافية في بناء الإنسان وثقافته.

لكن مهلا على ما يبدو أننا ننقض اصطلاحنا الأولي بأنها جملة"ماوراء ثقافية" لقد اتضح أنها جملة ناطقة بثقافة ما ، إنها جملة ثقافية ! إنها ذات مؤلّف مزدوج .لكن مؤلفها **"إنسان جديد"** ليس إنسان النقد الثقافي الغذامي الذي تكتبه ثقافته عَبْرَهُ فيخرج لنا نصّا ، بل إنسان ينطق بثقافة غير ثقافته ،ثقافة لم تكتبه يوما ، لكنه يكتبها في لحظة صحو و إنصاف نسقي ثقافي للمادّة و أفضالها عليه وطاقتها التي تنير داخله وخارجه .سنسمي مؤلفها **"المؤلف القنطوري "**[26]نظرا للتشابه في الهجنة ،فهو كائن هجين نصفه بشري ونصفه مادي أو غير بشري ، مؤلّف مزدوج على كل حال،لكنه نادر الوجود سريع التلاشي لأنه يولد عند تزواج النسق الثقافي المادي بلحظة الصحو البشري من

سكرة نسقه الثقافي ،وهي زيجة محرّمة في الثقافة الإنسيّة ، إذ ليس سهلا هروب البشر من سجونهم الثقافية الصانعة.

إذن سنجازف بالقول؛هو ازدواج تمّ تحت شمس الوعي والإرادة الإنسانية الخالصة في أقصى درجات تحررها من نسقها الإنسي ،بل إن حدّة الوعي من شروط وجود هذا المؤلف بخلاف الازدواج الغذامي المتعارف عليه ثقافيا القائم على اللاوعي الدائم . إنها جملة ناطقة بنسق ثقافي آخر غير النسق الثقافي الإنساني الذي قمقمنا معناه وحجرنا على دلالته ليدل مصطلح"النسق الثقافي" رأسا وقطعا على "الثقافة الإنسية" فقط دون غيرها من الثقافات الكونية، حتى بدون إضافة لفظ" الإنسي "لقد اتضح أن هناك ثقافات غيرنا على هذا الكوكب كثقافة الألبسة والبرنوس الذي يعترف في حضرته عميمور بأفضاله و بأنه أحد مواطنيها وليس أحد مؤسسيها لأن جمهورية البرنوس تأسست قبله،هو سفيرها في إسلام أباد وإليها ستنتسب الجمهوية الجزائرية الإنسية في تصوّرات الباكستانيين والحاضرين من غيرهم.

إننا نقف الآن على لغم نسقي ثقافي إنسي سنفجره، هذا اللغم يتوحّد فيه كلّ البشر سكان المركز أو الهامش الثقافي بكلّ ألوانهم وأصنافهم الساحلة والمسحولة، السيدة والمغلولة، لا يهم الجميع على عقيدة واحدة تقول **"أن الثقافة إنسية والنسق الثقافي بشري حتما "** لقد تواطؤا بفاعلهم ومفعولهم على كل الكائنات والموجودات ،سنسمي هذا النسق العالمي الذي يعشعش داخلهم" **النسق الثقافي الإنسي العام"** عبره أتم البشر عملية تجميد مفهوم"الثقافة " ليدلّ عليهم فقط ككائنات ناطقة مثقفة،إنهم أبناء الثقافة وغيرهم أبناء الطبيعة والصناعة والوسيلة ، فانتقل من كونه مفهوما صناعيا إنسيا، ذا دلالة اعتباطية متأرجحة على حبل اللغة و التحولات الحضارية الأرضية والتأثيرات الكونية، ليبيت مفهوما طبيعيا عقديا محنطا يعاد إنتاجه من طرف المفكر قبل الجاهل،و يتساوى الجميع في جدّهم وسعيهم على الحفاظ على جموديته وقمقميته البشرية . إن التواطؤ البشري أخرج كلمة " الثقافة " من طهرها الأعجومي وحرمها من ألوانهاوحللها الدلالية الزاهية اللامتناهية التي ترتديها كل الموجودات، ليثقلها بالحمولات الثقافية القسرية التي تكبّلها شيئا فشيئا وتسجنها في قمقم مدلول الثقافة الإنسية ،و تسقط عنها أرسخ مقومات المواطنه في جمهورية اللغة ألا وهي اعتباطية العلامة و تحولها وتلونها ولا نهائية معانيها. إنها تحيلها لما سماه صول كريبكه " التعيينات الجامدة" أو هي أسطورةمن أساطير بارط التي (تدعم المصالح البرجوازية الأيديولوجية فيقول: "إن الأيديولوجيا

البرجوازية تحوّل الثقافة إلى طبيعة " يمكن أن تكون إحدى وظائف الأساطير إخفاء الوظائف الأيديولوجية للإشارات .وتكمن قوة الأساطير أنها تعتبر بديهية و تبدو أنها لا تحتاج إلى فكّ تشفير أو التفسير أو إزالة أسطوريتها.والتشابه بين بارطوستراوس واضح هنا، يقول ستراوس: "أقول...إني لا أبيّن كيف يفكر الناس في الأساطير ، و إنما كيف تعمل الأساطير داخل أذهان البشر دون أن يعوا ذلك "[27]

وبالفعل فإننا كبشر ورغم اعتداد الإنسان الرابع بمارد العقل المتسائل على الدوام ،إلا أننا وقعنا في فخّ الأسطرة التي أصبحت بموجبها الثقافة في معقولياتنا بديهيا هي من متعلقات الإنسان دون غيره ، بديهية لا تقبل النقاش و المجادلة تماما كالجزء أصغر من الكلّ و الاثنين أكبر من الواحد ، لذا فإننا كنّا نعمَ المريدين ،قدّمنا كلّ قرابين التسليم والإذعان لتغذية هذه الإحالة الواحدية ، لأن عوائدها تمثل تغذية راجعة للإيغو البشري المتضخم منذ الأزل .

2/ نسق الاستفراق[28] :

حسب هوى الحقيقة الذي يجتاحنا في هذه المرحلة البحثية ، نحدّده بأنه نسق رديف لنسق الاستشراق يخرجان من مشكاة اللوغوس البشري ،فالاستفراق قرينة دالة على العنصرية الثقافية وهو دونية ينسبها المواطن إلى الآخر المواطن،ينمطه ويحيله إلى هامش الهم والهمهمات رغم ما قد يكون لديه من مؤهلات التمركز و الفاعلية الثقافية،إلا أنه يُنْصَبُ على المفعولية لسبب بسيط هو أنه ليس ابن الثقافة الرضائية[29] المركزية ولا تنطبق عليه شبكتها المعيارية الثقافية.وكنا في دراسات سابقة قد أثبتنا وجوده بوفرة في مقررات المدرسية الجزائرية. ولا تخلو ثقافة منه هو ملازم للطبقية التي تعدّ فطرة بشرية .يتسلّط بموجبها الطرف الأقوى على الأضعف و إرادة القوة هي الفاصلة فيها فلا مكان للحقائق و المنطق والأخلاقيات. وكلّ طرف ضعيف يمارسها على من هم أضعف منه. فالنسق الثقافي الرضائي يمتاح وجوده و قوته من استضعاف أي آخر كان أجنبيا أو مواطنا الأمر سيان. والنسق الثقافي الهامشي بمرور الوقت وضربات المركز يعتاد سادية النسق الرضائي في حقه ،ويستحيل في كثير من حالاته إلى كائن مازوخي يستلذ تعذيب نفسه وهدم مصالحه.

إنها لعبة نسقية نفسية ثقافية بامتياز، في كل دولة أو مجتمع موسع أو ضيق لا يهم المهم أن هناك صراع قوى حتى ولو كان المجتمع المصغر في هيئة شخصين، دائما هناك نسق ثقافي أقوى هو بمثابة البرلمان المحصّن الذي يَسْأَل ولا يُسْأَلْ أويُسَاءَل مهما بلغت جرائمه، كالتسق الصهيوني ،إنه مجموعة

من المقاعد يحتلها الذين يكسبون حروب الواقع والمصالح، أما حرب الحقيقة والمبادئ فلا تعني للنسق الثقافي شيئا لأنه أعمى ويسير بمنطق القوة لا الحق .

إننا نقف الآن مجددا أمام حالة ارتداد لردة الفعل على الطرف الأضعف ، فكما مارس أبناء النسق الرضائي سلطتهم وقوتهم على أبناء الهامش. كذلك الآن مارست البشرية كلها سلطتها ـ بما أنها مالكة الخطاب أو هكذا يتهيأ لها ـ على بقية الكائنات و الموجودات ، النسق الثقافي يتغذي على الدوام على أجساد و أحلام الضعفاء . سواء بين البشر أو بين البشر و غيرهم من المخلوقات ، أو حتى بين هذه المخلوقات والموجودات نفسها . لكننا لا نستطيع التسليم بالإطلاق لفرضية ردة الفعل بالتقليد والتشبه التي يقول بها ابن نبي و ابن خلدون وفرانز فانون لأنها تنطلق من النزعة الإنسانية التي تجعل من الإنسان كائنا حيا قادرا على القيام بردة الفعل ، وهو أمر يتنافى ومنطلقات حفريتنا الثقافية هذه التي تكفر بالنزعة الإنسانية وتحكم عليها" بأن تنسحب كليا من هذا الفضاء الجديد الذي لم يعد التفكير فيه ممكنا ، كما يقول ميشيل فوكو ، إلا في غياب الإنسان "[30] فالإنسان لا ينبغي له الحضور في حضرة النقد الثقافي و فلسفات التشكيك المابعد حداثية إلا ككائن ميت مرتهن في شبكة لغوية ثقافية تتقاذفه، وتخطط لتوجيهه عبر منظومة نسقية تستبيحه وتجعل منه وسيلة في يد غيره لا غاية في ذاته ولذاته، وغيره،سيستفيق أخيرا على كارثة أن الأرضية تحته تخرج عن سيطرته لأنه ولد فوجدها قبله ساكنة ماكنة ،لم تهتز يوما لتدعوه لضرورة التفكير فيها و الشك في نواياها ضدّه ، لكنها الآن مرتجة وبإمكانها أن تخسفه أو تؤمنه تبعا لدرجة الولاء التي يقدمها لها.وقد ارتجّت الأرضية تحت رجلي عميمور فأوحت له بما كتب.

لذا يجب منذ الآن أن نحمل للموجودات والمصنوعات افتراضا يقول " أن لها ثقافة" كما لنا و أن مفهوم الثقافة ليس حكرا علينا ،و أن لها نسقا ثقافيا يؤكده أثرها فينا و ارتهاننا له وأننا نتهوّى بهويتها ،حقيقة نجدها في مفهوم دينيس كوش للثقافة بأنها "وسيلة ملائمة للتعبير عن ميراث يتكون من أشياء، وصيغ أفكار وتصرفات تعطي لجماعة بشرية و لأفرادها هوية خاصة "[31] فالأشياء من أحجاز الزاوية في الثقافة الإنسية ولها نسقها الثقافي الذي نفترض أيضا أنه شبيه جدا بالنسق الثقافي البشري ومن دلائل ذلك إننا عندما نستحضر فاعلية الكائنات و الموجودات و الإقرار الإلهي بذلك ، وعندما نقرأ ما يحدث حتى في تلك العوالم غير الإنسية من سيطرة الطرف الأقوى على الأضعف ، النسق الأقوى يلتهم الأضعف إما التهام معنوي بالتبعية والصمت وعدم إبداء رد الفعل أو بالالتهام المادي للجسد كأكل الحيوانات لبعضها بعضا ، شبيه بقتل البشر لبعضهم بعضا سعيا لسيطرة النسق

الأقوى ، أو بتآكل بعض الموجودات الطبيعية و اندثارها بفعل الأرض أو عوامل الطبيعة أو الزمن الكائن الكوني الأقوى الذي تتجاوز قوته عالمنا الأرضي و ثقافاته الناطقة و المقمقة .

وحتى في عالم المصنوعات البشرية تظلّ القوة هي سيدة الموقف ، فهناك اختراعات تقصي اختراعات ، واختراعات تقصي الإنسان نفسه ليصبح عبدا لاختراعاته التي تغوّلت و امتلكت من القوة ما جعلتها تأخذ مكانه في كثير من فضاءاته الحياتية ، تناكفه حتى في لقمة عيشه، بل و تجعله يجلس الأربُعاء في حضرتها مدمنا خاشعا لأمرها ضائعا عن أناه الرابع العاقل المتوهّم أنه سيد الأرض . وهنا نجد موضة تغتال موضة و تنفي تقاليد لباسية، بل وتنفي الإنسان نفسه من دائرة السيّد الذي يختار ما يستره ويستكمل جمالياته الإنسانية الهندامية أي من دائرة ما شاء الأنا إلى دائرة ما شاءت الأشياء . كذلك نرى ونحن على ربوة الثقافات الأرضية أطباقا ومأكولات تخوض معركة مع بعضها و البقاء و الانتشار لمن ارتفعت أسهمه في سوق الذوق البشري أحيانا، لكن في أحايين أكبر ومؤخرا انتقلت القوة للمأكول ليغير الذائقة البشرية كلها ولو على حساب الصحة الجسدية ، كل هذا لأن الهامبرغر و المشروب الغازي و غيرها امتلك القوة التي دفعته وفرضته كنسق تخضع له الإنسانية .

نحن البشر المدمنين الخاضعين المستعمَلين المستعبَدين لعالم الأشياء و الموجودات؛أدناه استعباد الهواتف الذكية لنا و أعتاه ثقب الأوزون الذي ترتهن له الحياة الأرضية كله.علينا نحن المتوهمون للسيادة أن نقرّ بضعفنا الذي أقرّه الله فينا ،و نكتب لكل المخلوقات والموجودات والمصنوعات اعتذارا كتابيا كالذي كتبه محي الدين لسيادة البرنوس ، و إقرارا بأن لها ثقافتها و نسقها الذي نتخبّط في شباكه ونحن نكابر، علها تكون بداية العلاج وحلول الانسجام الذاتي الكوني.

مما سبق تحليله حول صلاحية المصطلح الواصف للجملة العميمورية نخلص إلى أنها **"جملة ثقافية مادية"** إن أردنا أن نسميها ونحن في أوسط مدى لانعتاقنا النسقي ،لأنها تنطق بنحو ثقافة المادة وتتوجها فاعلا نحويا وثقافيا في الجملة وتنسب إليها كل فضيلة ، ونستطيع الاصطلاح عليها بأنها ونحن في أدنى انفكاكاتنا النسقية جملة " **ميتاثقافية إنسية** " أو " **ما وراء الثقافية الإنسية**" نقول أدنى لأننا اتخذنا الإنسان وثقافته معيارا للتسمية وللتعريف بغيره ، إنها تقرّ فعلا وقولا بأن هذاالكون يعجّ بالثقافات لكل الموجودات و الكائنات والمصنوعات ، فكل موجود مادي لديه شهادة ميلاد وإنه جاد كالإنسان ، وله ذاكرة وحاضر ثقافي و ولغة وناطقين ، والإنسان نفسه يصبح ناطقا للغة بعض مصنوعاته وموجودات الطبيعة ، إنه تابع مفعول به في أكثر حالاته الحياتية وهو يدعي المفعولية

على الدوام. و قد نسميها " جملة ثقافية كونية " ونحن في أقصى درجات تحرراتنا النسقية الثقافية التي ترى في كل كائن و مادة طاقة ونبضا وحياة. هذه الاصطلاحات الثلاثة ممكنة ومطابقة لمحمولات الجملة والنص عموما و لانتصاراته النسقية.

الفاعل الثقافي: في هوى تصورنا للحقيقة الآن ،نرى في كلّ ثقافة هناك فاعل ثقافي هو ابن النسق الثقافي الرضائي المركزي ويحتلّ موقع الفاعل الثقافي في الواقع وفي عالم النص ،و يحتلّ إضافة لذلك موقع الفاعل النحوي فيه،تماما كالنصوص الاستشراقية التي تصوّر الغرب كمحضرين للعوالم الأخرى ، فهم الفاعلون ثقافيا وهم منتجو تلك النصوص والناطقون بها فهم فاعل نحوي متكلم في النصّ لا تسمع إلا صوته ، لكنه قد يتبدّى بحضوره الفيزيائي فيرفع على الفاعلية الظاهرة ويتكلّم بضمير الأنا الظاهر،وقد يكون حضوره كيميائيا فيرفع على استتار الفاعلية ويتكلّم بضمير الأنا عبر الآخر.فهو الفاعل المستتر الذي يرمي المفعول به ثقافيا في أتون النّصّ ليُنْطِقَهُ بماشاء ويصل به في أغلب الأحيان لدرجة التمزّخ وجلد الذات وتقديس الفاعل المستتر الذي منحه شرف الحضور الجسدي،أما معنويا فهو المغيب على التمام والدوام. إسقاطا لتصورنا حول الفاعلية الثقافية والنحوية وقراءتنا لشروحات عميمور حول أحداث انعتاقه من عبودية التصوّر النّسقي الثقافي الإنسي المقزّم لقوة البرنوس، نجده يستعمل أسلوبا موضوعيا نستطيع أن نصفه"**بالتعفف النسقي**"حدّأن ذكر أفضال البرنوس عليه التي تجاوزت كينونته البشرية كفرد،ذكرها لفظا صريحا "أفضال "و إقراره بأنه امتاح حضوره منها أكثر مما أخذه من ذاته ،وسلّم له بالغلبةوالفعالية والقوة،وبالتالي احتلّ البرنوس مقعد"**الفاعل الثقافي**" فيمااحتل محي الدين عميمور مقعد الفاعل اللغوي النحوي البلاغي في النص،لأنه منتجه اللغوي، وهذه حالة انفصام تحدث غالبا على مستوى شخصية الفاعل في الجملة الثقافية الكونية و الإنسية، إذن فالبرنوس يستحق بذلك أن يحتلّ منصب الفرد أو الذات فيتناسب طردا مع مفهوم الاقتصاد الثقافي والمادية الثقافية للفرد ، فهذا النص فاعله اللغوي و فاعله الثقافي من عالمين مختلفين ؛ انفصام يتناسب تماما مع شخصية مؤلف النصّ " الإنسان القنطور" ويؤكّد صحة اصطلاحنا الجديد.

من علامات رفع البرنوس على الفاعلية الثقافية نذكر :

– وزن اللباس في معادلة الأنا لإنسي : نجده مثبتا في مثل قوله " أصبتُ بالذعر، فقد توقعت أن السفيرين سيرتديان ملابسهما الوطنية،وللحظات،تخيلت وقع هذا على الساحة الباكستانية ....وفي

اليوم الموعود، كنت بالغ التوتر وأنا أجتاز ساحة القصر الجمهوري" إن تفكير السفير في اللباس الذي سيكون مقدّمته الأولى للمجتمع المخملي الباكستاني كان مكثفا وعميقا ونراهن أنه استنزف من عميمور وقتا تجاوز وقت التحضير للاتيكيت الكلامي و السلوكي في هذا المقام.

-إرادة القوة اللباسية : وهي التي تؤكّد كينونة البرنوس المطابقة لكينونة الإنسان والتي أبرز مقوماتها الإرادة فقد امتلك مقومات الذات بتاريخه وثقافته ولغته طاقته و أثره ،بل أصبح سفيرا فوق العادة يستطلع طلته كل الحاضرين،يستفهمونه بنظراتهم الفاحصة،لقد اختزلوا الجزائر كلها فيه،شيء أحسّ به عميمور فقال فيه"وأحسست،وأنا أستمع لما بدالي وكأنه النشيد الوطني الجزائري، بأنني أحمل الوطن كله على عاتقي، ثم قمت باستعراض حرس الشرف على أنغام الإيقاع الثلاثي، وعلى كتفي البرنوس الوبري قهوي اللون"

لقد كان للبرنوس الذات هنا قوته ولغته وأسلحته التي تجاوزت ذات محي الدين التي انزوت هشّة مضطربة تحت البرنوس تستظلّ به من أشعة العيون الباكستانية التي كانت تقرأ هذا الوافد الثقافي الجديد ، إنّ ذاته كانت تطلب اللجوء و النصرة في لحظة الارتباك والضعف النسقي الإنسي؛وفي هذا نجداعترافه القائل: "وساعدني البرنوس على إخفاء اضطراب خطواتي الأولى، وربما ساعدني أكثر ما بدا لي من أنّ الحضور كانوا يركزون بصرهم على البرنوس أكثر من تركيزهم على من يرتديه" كان البرنوس ناصر السفير بتفرّده و بجيوش حمولته الثقافية التي لم يرها عميمور طلية سنوات عمره وهو يجرّ جثّة برنوسه ومارد تصوّره بشأنه هنا في الجزائر .

ولم تنته نصرة البرنوس كجملة ثقافية مادية لعميمور على فعلها التعبيري و الإنجازي أثناء تقديم أوراق الاعتماد،بل ظلّت تأثيريتها وطاقتها متجددة تفتح له آفاق احتلال المركزالخطابي في اللقاءات العامة والخاصة،بل وحتى في الصحافة،حضر البرنوس كمعرّف لسفير الجزائر وليس العكس،فقد أصبح تابعا له، لقد سمي"**بصاحب البرنوس القهوي**"ويصف هو نفسه ذلك الانصهار لذاته تحت حرارة برنوسه وامتياحها مقومات كينونتها ووجودها في الوسط الباكستاني منه بقوله:(كان مما يداعب غروري في الأيام الأولى لوجودي في باكستان،وأنا أدخل إحدى الحفلات العامة واضعًا البرنوس على كتفي،أن ألحظ، من زاوية العين،رؤوسًا تدور متابعة خطواتي، ومحاولات للتعرف على شخصي،كمقدمة للتعرف على بلدي، تبدأ غالبًا بالسؤال عن اسم هذا"الشيء الرائع"الذي أضعه على كتفي)إنها قوة الأشياء وبنوّة كثير منها لنا لدرجة التوحّد اللاواعي معها،ولدرجة أنّ لها حضورها

حتى في السجلّ المدني الجزائري متمثلا بألقاب عائلية مشتقة من الأشياءأو ما تصنف جمادات:بوعكاز ،صحراوي،زغدود،حداد..إلخ فالجزائر من أكثر الدول التي تقرّ ولو سهوا أو بطريقة لا واعية بسطوة الأشياءو اللباس مثلا على الإنسان.

وهنا نفتح قوسا لنذكر أثر الاستعمار الفرنسي في فرض نظام التسمية بالجزائر ، لكن استمراره الى الآن يؤكّد على العلاقة الأبوية بين الإنسان الجزائري و عالم الأشياء ، بل وحتى عالم الحيوانات في صورة من صور الطوطمية الحديثة التي وضعت فرنسا بدأتها فرنسا واستمرت بعد الاستقلال الجغرافي.

يستمرّ عميمور في وصف فاعلية البرنوس التي اكتسحت واقعه آنذاك ونصه الآن وبالتالي فهو يصف مفعوليتة وسلبيته كذات روبوتية انتسبت لنسق ثقافي آخر وانبرت تمجّده،فنطق بأفضاله و فتوحات البرنوس وجيشه الثقافي في باكستان،بل وتعجّب من قوته التأثيرية التي تجاوزت لحظة تسليم أوراق الاعتماد بقوله:" لكن الذي حدث هو أن البرنوس أصبح حدث الموسم وحديثه في إسلام أباد، ولعله كان أحيانًا، بما يثيره من تساؤلات حول لونه ومادته الأولية، فرصتي للحديث في القضايا التي ترتبط بالعلاقات بين البلدين، سواء مع الرئيس غلام اسحاق خان، أو مع السيدة بنظير بوتو، أو مع أمها السيدة نصرت بوتو، أو بعد ذلك مع رئيس الوزراء الشاب نواز شريف، أو مع أعضاء الحكومة ومسؤولي الأحزاب السياسية على اختلاف درجاتهم، وبالطبع مع القيادات الدينية)

بقي أن نشير هنا إلى وقوفنا على همهمة ثقافية واحدة أصدرتها الذات الإنسية وهي تحت ركام النسق الثقافي الإنسي الذي هدّجدره عيممور،لتقول أنهانا وأنهاهي الأحقّ بالفاعلية الثقافية، وأنّ عميمور سيرجع لسجنهاولو بعد حين كما أسلفنا القول فلا يمكن للانسان التحرر من نسقه الثقافي الصانع على الدوام (وآخرين رأوا في استعمالي للبرنوس نوعا ن التمسك بالتقاليد) هنا تحرّك النسق الإنسي المكتوم المكلوم في صميمه وأبرق بكلمة "استعمالي" ليذكّر النسق الثقافي المادي أنه وسيلة مهما حلق وتألق.وأن الإنسان هو الآمر فيها بما يشاء في لفظة" استعمالي". لكن لا يمكننا الاعتداد بحضور واحدي لنرفعه على الفاعلية .

من هنا فإننا نؤكد أن الإنسان في هذا النصّ الإشراقي الثقافي كان فاعلا نحويا فهو المتكلم و ناظم النصّ أما الفاعل الثقافي فهو" البرنوس"،وفي حالة الانفصام هذه نكون رأسا أمام المفعول به الثقافي نظرا لأن الجملة الثقافية الإنسية أو المادية هي جملةمتعدية تستوجب وجود المفعول به،لكن المفعولية الثقافية نقدّم لها افتراضا نسميه " التمزّخ الثقافي أو الذات المتمزّخة المفعول بها"،وهي موجودة بكثرة في الجمل الثقافية الإنسية التي تتصارع في ساحتها المراكز والهوامش البشرية ، لكن وبما أننا في ساحة جملة

ثقافية كونية ،أو جملة ثقافية مادية في أدنى تصنيفاتها فلن نستطيع الدخول بمخرجنا الأولي القائل بالذات المتمزّخة الذي وجدنا تمثلات وجودها في دراساتنا السابقة للثقافة الإنسية ،لذا نتساءل : مامدى تمزّخ المفعول به الثقافي في الجملة الثقافية الكونية؟

المفعول به الثقافي ؛ الذات المتمزخة :

هوى الحقيقة لدينا الآن يقول "إن النسق لا يأكل أبناءه" بل يأكل أبناء الآخرين عبر التهامهم شخصيا أو التهامهم عبر أنفسهم بالوكالة منه وهذا ما ينتج عنه الذات المتمزخة التي تلتهم نفسها، بأمر الفاعل الثقافي أولا ثم بأمر ميلها النفسي للخضوع و الإذلال بسبب ديمومة التعرض له واستمراء ذلك .ومثالها الذي نسوقه هنا أغنية " أنا صحراوي ومانيشي قاري ولدي البراري" لفرقة تيكوباوين حيث يتغنّى الفنان الصحراوي بإحدى المثالب التي نسبها له النسق الثقافي الرضائي بغير وجه حق " الجهل ،"الصحراوي الجاهل" يترنّم بها في الألفية الثالثة وهو الجامعي المتعلم .إنه يجلد ذاته بتلذذ ،إنه مازوخي.

على هذه الشاكلة سنبحث في هذا النصّ الثقافي المادي بامتياز عن ملامح هذه الذات التي مثّلها يمثلها عميمور بما أنه فاعل نحوي ومفعول به ثقافي عبر البحث عن كلمات التهميش للأنا و تعظيم و تفضيل و إكبار للبرنوس ،نظرا لأن البرنوس ابن النسق الثقافي المادي النابض الكاتب لهذا النص،رغم أن الكاتب الإنسي أو حتى القارئ سيتوهّم أنه يستعمل أسلوبا موضوعيا بلغ من التعفف النسقي حدّ أن ذكر أفضال البرنوس عليه التي تجاوزت كينونته البشرية كفرد . لكن في افتراضنا لهوى الحقيقة هنا ؛ نرى أنّ النص مقطع من "**سردية الانهزام الثقافي**" التي لا تخلو منها ثقافة أممية أو كونية ، وعميمور هنا كان ممثلا " للذات المنهزمة المفعول بها ، فهو الإنسان العاقل الناطق الذي كفر بملّة النسق الإنسي وجلدها فعاش الانعتاق النسقي لكنه لحظي سريع الانقضاء لأنه سينتسب فورا لنسق آخر ، لا يستطيع أن يعيش الفراغ والانعتاق التام ، من هنا تنتفي فرضية " الإنسان الخالص لأنه إنسان مستحيل" إنّ ومضية الانفكاك النسقي التي نسعى لإثبات صحتها حدوثها ثقافيا،فإنها في الأصل و الأزل حادثة ومثبتة عضويا ببصمة وراثية جينية يتساوى فيها كل البشر،فعند النظر للذرّة المكونة لنا نجد من أرسخ صفات الكتروناتها أنها تفضل دوما التواجد على شكل أزواج الكترونية، وأن الكترون الحر لن يكون مكتملا و سعيداً حتى يجد الكتروناً آخر ليشكلا معا زوجاً منتجا وينتميا للذرة. و إن استمرّ الالكترون في حريته ولا انتمائه ،سيسبب المرض العضال

في جسم الإنسان المادي ،وكذلك الشأن مع الجسد الثقافي البشري لابدّ له أن ينتمي لنسق ذري ثقافي معين،إنّ المادّة في أضحل مكوناتها ترسم السلوك الثقافي للكائن الإنسي العاقل في أعلى مقاماته؛ثقافة الالكترون والذّرة تضع له قبل الانوجاد خريطته الجينية الثقافية المتطابقة مع تفاعلاته المادية.

من هنا فليس غريبا انتماء عميمور الإنسي لدين النسق اللباسي المادي،إنه يحاكي طبيعته العضوية،لقد أصبح من أبنائه ودافع عنه طيلةالنصّ الذي غابت عنه تماما إنجازات السفير الذات وحضرت إنجازات البرنوس الذات،و مفعولية وسلبية الكائن الإنسي أمام نبض المادة ومنها نذكر :

"ساعدني البرنوس على إخفاء اضطراب خطواتي الأولى،وربما ساعدني أكثر ما بدا لي من أنّ الحضور كانوا يركزون بصرهم على البرنوس أكثر من تركيزهم على من يرتديه" هي لحظة إقرار بالضعف البشري والارتباك الذي تصنعه رهبة الموقف وشدّة الوعي بكلّ التفاصيل المحيطة به واستيهامات الذات الإنسية بمركزية حضورهاوأنّ كلّ الطاقات البصرية للحاضرين وتطوف حولها،اعتراف الذات الإنسية بضعفها،وسلبيتها في مقابل إيجابية البرنوس يؤكّدها استعماله " لفظ ساعدني"وتكراره ثلاث مرات فالقوي الذي يكتفي بقوته الذاتية لا يحتاج مساعدة.

ثمّ يمضي في ذكر تفاصيل ضعفه الإنسي بقوله : (أصبت بالذعر فقد توقعت أن السفيرين سيرتديان ملابسهما الوطنية) فقد أصيب بالذعر لمجرّد التفكير في ماذا سيرتدي وفي المقارنات بينه وبين السفيرين المغربي و الأثيوبي اللذين كان متأكدا أنهما متوحدان مع لباسهما الوطني لأنهما عاشا معه التجربة الشعورية الأنوجادية باطنا و ظاهرا هناك في أوطانهم بعكس الكائن الجزائري الذي يمثله عميمور هنا،و الذي سيكتشف كينونة البرنوس الحقة في باكستان بعد أن تحرر من عماه النسقي الحامل لمعايير الثقافة الرضائية ذات الإرث الاستعماري الأوروبي وممثلها البدلة الأوربية التي حالت بين المشرّع الجزائري،وبين فرض تقاليد لباسية للدبلوماسيين. لذا عاش السفير لحظة الشتات وهو يسدّد و يُمَدْبِنُ ،[32]ويقارب،ليعتصم بالبرنوس القهوي أخيرا بقوله :

(وفي اليوم الموعود كنت بالغ التوتر وأنا أجتاز ساحة القصر) (...اضطراب خطواتي الأولى)

(ولعله كان أحيانًا، بما يثيره من تساؤلات حول لونه ومادته الأولية، فرصتي للحديث في القضايا التي ترتبط بالعلاقات بين البلدين) (إن أفضال البرنوس لم تقف عند هذا الحد ....وأنا أدخل إحدى الحفلات العامة واضعًا البرنوس على كتفي، أن ألحظ، من زاوية العين، رؤوسًا تدور متابعة خطواتي) لقد أقرّ بفضل البرنوس عليه باللفظ الصريح الجمعي لا الفردي "أفضال" وهي مرحلة من المكاشفة لا

تصلها الذات النسقية الإنسية وهي في مرحلة الأنا السليم ثقافيا بل في حال تقزّمه وتمزخه، إنها ستراوغ حتما ولن تقرّ بذلك .

يختم السفير الجزائري لباكستان ، والسفير الإنساني لعالم ثقافة المادة نصّه بتقديم قرابين الولاء لهذا الطوطم الجديد الذي أحاله إنسانا فوق العادة بفضل قدرته وبفعل قوته ، فيقول في حضرة البرنوس :

(ولو كان الأمر بيدي لفرضت استعمال البرنوس كجزء من اللباس الرسمي لكل سفير جزائري.)

لقد كان قرار تدويل البرنوس الذي تمنى عميمور لو امتلك السلطة لفعله،يمثل ذروة لحظات الانتساب النسقي.إنه منذ الآن جندي في جيش البرنوس الثقافي سيسعى إن امتلك سلطة السياسة لجعله فرضا على كل دبلوماسي جزائري ،ولو خانته السياسة سينتصر له بسلطة الخطاب فيكتب في شأنه الرفيع نصه هذا الذي يمثل قربانا عميموريا للبرنوس وتكفيرا عن خطيئة التصوّر التي سكنته سنين.

كل تلك الاقتباسات تدلّ على امّحاء تضاريس الأنا الإنسي ونفيه لعالم الغياب للهو والهمهمات ، نفي استفراقي تمّ بواسطة الإنسان نفسه ، لقد جلد ذاته كثيرا ، فالبرنوس كان سيد الكلمات والأشياء والخطاب والساحة الباكستانية من هنا فإن قرائن وجود الذات المتمزخة متوفرة[33]،فهي ذات متشيئة جدا ،لقد مارست المواطنة الشيئية أو بمفهوم أقل تمرّخا المواطنة الكونية التي نزعم في رؤيتنا النقدية الثقافية المفترضة أنها لا ترى في الانتماء لعالم لست منه نقيصة و مازوخية مهما بلغت درجة محاباتك، ماهو إلا "تعفف نسقي"و إقرار بالفضل والتكامل الكوني .لكن ونحن نجترح هذا الافتراض والمفهوم للثقافة الكونية ونؤمن به و ننقد ونشرح جسد النص الإشراقي العميموري بمقتضاه لم نتخلّ على تسمية"الذات المتمرّخة"إننا مسكونون بالنسق الثقافي الإنسي الذي يعسر على الناقد الانفكاك منه حتى والنسق في أعلى درجات عريه ، حتى والباحث في أوجّ حروبه النسقية ، يظلّ ناطقا فيه بشكل أو بآخر .

خاتمة :

ختاما نصل إلى نتيجة أولية تؤكّد مواطنة الأشياء في عالم الكلمات وعالم الإنسان وإنجازاته و انكساراته ،ومواطنتها في امبراطورية الثقافة الكونية التي تشمل الثقافة الإنسية و المادية فالشيء فرد ثقافي فاعل،له أثره على حياة الإنسان الذي خُلِق ضعيفا كما قال الله،و يستحيل أن يحيا بدون المادة النابضة فوزن وجوده بوزن وجودها،والماء أكبر شهود ذلك،و في أحايين عديدة تتجاوزه وتتبناه،فكثيرا ماالتهم عالمُ الأشياء عالمَ الأشخاص و ختم على هويةأي شخص ووزنه وحضوره بختمه،فيتحدد البعد

الهووي للإنسان لدى الآخر وقبل ذلك لدى الإنسان نفسه أولا و آخرا انطلاقا من اللباس مثلا الذي قد يكون برنوسا أو حايكا أو حجابا أو طاقية أو صليبا ،أو غيره .

أما خلاصة حديثنا الآنية عن علاقة الذات الجزائرية الرضائية باللباس كمادة نابضة ، فإننا نقول أنّها ذات إنسيّة إنسانية النزعة، في نسقها الواعي لا ترى في اللباس إلا شيئا جامدا لكنه خادم لها حتى في جموده يقيها الحرّ والقرّ ويجمّلها ، إلا أنها لم تسأل ذاتها كيف للجماد أن يتحرك ويحدث الأثر ويصدر طاقة و يفعل كلّ تلك المهام؟ لأنّها واقعة تحت سكرة النسق التي تحرر منها محي الدين عميمور وأنتج لنا نصا ثقافيا كونيا بامتياز. وليس جملة ثقافية غذامية.

أما المصطلحات الجديدة التي اجترحناها و داعبنا ولو جزئيا ثبوت فرضيتها فهي :

فعلى حسب هوى الحقيقة لدينا الآن نرى أنّ **النقد الثقافي المادي** ، مقابل **النقد الثقافي الإنسي** واللذين يجمعهما مصطلح واحد هو **النقد الثقافي الكوني** الذي يتجاوز المفهوم الغذامي و الليتشي قبله للنقد الثقافي ، فهو يكسر صنما آخر من أصنام الميتافيزيقا و يهدم إحدى أعتى متعاليات الحداثة التي جاء النقد الثقافي الإنسي ليضادّها ويكشف عوراتها و أوهامها العقلانية الواعية مفاخرا بأنه إنه بنفي الإرادة الإنسانية والوعي وتفجير العقلانية قد قضى على كل مغذيات الميتافيزيقا وسلّم الأمر للاوعي ،للنسق الثقافي واللغة بعيدا عن الإنسان. لكنّه نسي أنه أثناء فتوحاته النسقية إنما هو أسير عالمه الإنسي لايرى غيره من عوالم وحتى لو رآها يراها رؤية لوغوسية متعالية هي مجرد وسائل خادمة له ، إنها الغائبة على الدوام والمفعول بها على الفطرة ، ولا يجد سواه فاعلا حتى في أشدّ درجات عريه و إقراره بارتهاناته النسقية . نفترض النقد الثقافي الكوني كفعالية و استراتيجية نقدية تفكيكية وسيعة ،تهدم آخر قلاع الميتافيزيقا لربما إنه صنم الإنسان بنوعيه الثبوتي الرابع وهو الانسان الحداثي أو الشكوكي الخامس مابعد الحداثي ،ونخرج بالنقد الثقافي من عالم الإنسان إلى غيره من العوالم المحيطة التي لا تكتمل إنسانيته ولا حضارته ولا تستقيم حياته الدنيوية والأخروية إلا بها.

سيعمل النقد الثقافي الكوني على إخراج الدراسة النقدية الثقافية من سجن النقد الثقافي الإنسي الذي توهّم وتوهّمنا معه أنه تحرر من نزعة الأنسنة وكفر بالعقل وميتافيزيقاه ، ظلّ في حقيقته الآنية يؤلّه الإنسان مشدوها به في وعيه وفي لاوعيه ، يسعى بين شعوره ولا شعوره ليكشف مخاتلات النسق وارتهانات هذا لذاك ،نستطيع في مرحلتنا التأسيسية هذه أن نفترض النّقد الثقافي الكوني دراسة بينية تنبني على أرضية فلسفية جديدة قد يصدق نعتها مبدئيا **"بفلسفةماوراء الإنسان"**لا تنشغل بالبحث

في مضمرات لاوعي الفرد أو الجماعة أو الأمة والمتمثل في النسق الثقافي بالمفهوم الغذامي أو ما سميناه "النسق الثقافي الخاص " ،بل تتجاوزه للانشغال باللاوعي البشري العام وهو ما اصطلحنا عليه ب "**النسق الثقافي العام** " لأنه يربط بين العوالم الموجوداتية كلها و تأثيراتها وارتهاناتها لبعضها ،يتجاوز الدراسات البينية بمفهومها المستهلك في ساحاتنا الأكاديمية المتمركز حول عالم الإنسان بأدبه وتاريخه وجغرافيته واقتصاده ودينه وغيره ،ولا يمكن بحال ممارسته و أنت داخل الإنسان أو بجانب الإنسان أو بوعي الإنسان أو لا حتى بلاوعيه ، يجب أن تقف هناك على ربوة الثقافة الكونية التي تدخل في إطارها كلّ الثقافات وبدون تراتبيات ، ثقافة النبات ،الحيوانات ثقافة الطير ، ثقافة المصنوعات كالألبسة ، ثقافة الموجودات الطبيعية وغيرها ،لتستحق لقب "**الناقد الثقافي الكوني**" الذي يعسر جدا توفّر اشتراطات الانتماء إليه لأنه يتطلب خوض الباحث لحربي تحرير الأولى من النسق الثقافي الإنسي الخاص الذي يعتقله والذي يحمل ثقافته التي نشأ فيها وبها،والثانية حرب تحرره من النسق الإنسي العام ،و هو نسق مسكوت عنه لم ينتبه له النقد الثقافي الإنسي،ولن يتفطن لوجوده لأن هذا النقد ما زال أسير الإنسان يسبر قاعه يتغذى على مدخراته و يكشف مضمراته، ولأنّ هذا النسق يحمله كل البشر في لاوعيهم والمصيبة إذا عمّت خفّت و لا يشعر بوزنها النسق الإنسي بل يتآلف معها ويعتبرها من مبادئ التفكير لديه .

المؤلف القنطوري " :حسب هوى الحقيقة لدينا الآن هو الإنسان في لحظة انعتاقه من نسقه الإنسي و انتمائه لنسق المادة النابضة،فيكتب نصا مشيدا بحياة وفاعلية غيره من الموجودات والمصنوعات وأثرها وأفضالها على الإنسان ،وهي لحظة إزاحة للإنسان من مركزية الكون عن طريق هذا الكاتب القنطوري المتحرر المنتمي،هو كائن هجين تماما تصوره الأساطير الإغريقية لكن الفارق هنا أن نصفه بشري و نصفه الآخر متغير لا يقتصر على الحيوانات بل الأشياء وكل الموجودات الطبيعية والمصنوعة.على العموم نصفه بشري ونصفه مادي أو غير بشري .

الفاعل الثقافي : حسب هوى الحقيقة لدينا الآن هو شخصية اعتبارية ثقافية،قد تكون إنسانا أو غيره من الكائنات والموجودات،المهم أنّ لها غلبة ثقافية يؤكّدها الواقع والأثر النّصي أو الخطابي عموما بكل لغاته. وفي النصّ يقوم هذا الفاعل بتشييد الإنجازات الثقافيةالنصّية عبر اللغة وعبره كفاعل و صانع للأحداث وينصّب نفسه فاعلا نحويا باحتلاله ضمير الأنا المتكلم الذي يختزل الحضور برمته ،ويرمي غيره في غياهب الهُم والهمهمات.

المفعول به الثقافي: لأنّ الجملة الثقافية بكلّ أنواعها متعدية ، وجب أن يكون بها فواعل ومفاعيل ، سادة وعبيد ،قادة وتابعون، وبالتالي فالمفعول به الثقافي هو شخصية اعتبارية أيضا قد تكون انسانا أو شيئا، يتمّ توسيله في الواقع عبر السُّخْرة الثقافية،وفي النّص عبر السّحل المفعولي الذي يصل في كثير من حالاته إلى حدّ التمزّخ الثقافي ،والتسبيح بحمد الفاعل رغم ظلمه له فيصبح المفعول به الثقافي "الذات المتمزخة "

وأخيرا نخلص إلى أن المادة نابضة فاعلة ،وأن الإنسان ضعيف بنفسه، تكاملي بغيره و ليس كاملا،وأرسخ درجات إقراره بالضعف هو سعيه للزواج وحاجته للشريك المكمّل،لذا فرفض مراكز الإحالة الثابته على الطريقة الدريدية وغيرها،وتفجير ألغامها النسقية الإنسية العامة،والبحث في الحدائق الخلفية للمعرفة والحياة البشرية؛كل هذا لربما سيكون كفيلا بتعرية حقيقة فاعلية هذا الكون بكلّ موجوداته ومصنوعاته ،وأحيائه بل و حتى أمواته ،وكشف نحوه الثقافي الكوني الذي يصنع الإنسان نفسه ، ويتحكم فيه .

الهوامش:

[1])سيد محمد كيلاني ، الأفندية : كيف تسللت الأزياء الأوروبية إلى بلادنا، مجلة الدوحة،العدد 5 مايو، 1986، ص 78.

) سلامة موسى، في فلسفة اللباس ،مجلة الهلال ،فيفري 1925، العدد 5، ص464.[2]

) آلان هاو،النظرية النقدية :مدرسة فرانكفورت ، تر: ثائر ديب، دار العين ،القاهرة، ط1، 2000 ، ص71.[3]

) صالح خرفي؛ اللغة العربية هوّيتنا القومية،مجلة الفيصل، عدد218،السعودية،السنة 1995، ص21 .[4]

[5]) Summary: Vibrant Matter, Jane Bennett,cultivating alternatives blog ,28/11/2013. https://cultivatingalternatives.com/2013/11/28/summary-vibrant-matter-by-jane-bennett

[6]) Summary: Vibrant Matter, Jane Bennett,cultivating alternatives blog ,28/11/2013.

) سورة النمل : 88.[7]

) حسن أبو العينين ،من الإعجاز العلمي في القران الكريم ، مكتبة العبيكان ، ط1، 2018،ص496.[8]

)سورة الإسراء: 44.[9]

) سيد قطب ، في ظلال القرآن ،المجلد الرابع ،دار الشروق ، ط1 ، 1972 ،ص 2231،2230.[10]

[11]) عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، البشرى للخدمات التعليمية ،د ط، 2016 ، حديث رقم2731 ، 2732 ، ص 1292.

[12]) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،صحيح مسلم ، الجزء الأول ، باب أحد جبل يحبنا ونحبه ، حديث رقم 1392 ، ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 1991، ص1011 .

) سورة الأنبياء : 30.[13]

) سورة النبأ: 10،11.[14]

[15]) اعتمدنا هذا الترقيم و اجترحنا هذا الاصطلاح بناء على النظريات الحضارية التي تقسم عصور الحضارة البشرية إلى أربعة أقسام :

أ / الانسان القبلي الذي عاش على الصيد والنهب . ب/ الانسان الزراعي الذي استقر و مارس الفلاحة .

ج/ الانسان الصناعي الذي أنجبته الثورة الصناعية . د/ الإنسان المعرفي الذي كان وليد الجمهوريات المعرفية الحداثية . ومنه فالإنسان الرابع هو الحداثي العقلاني . ينظر لكتاب الدكتور محمد عبد العزيز ربيع : العرب في عين العاصفة وكتاب صنع التاريخ نظرية في التاريخ وتطور الحضارات.

16) Summary: Vibrant Matter, Jane Bennett,cultivating alternatives blog ,28/11/2013.

) Summary: Vibrant Matter, Jane Bennett,cultivating alternatives blog ,28/11/2013.[17]

) Summary: Vibrant Matter, Jane Bennett,cultivating alternatives blog ,28/11/2013.[18]

[19]) ع العزيز حميد،الأزياء عند العرب عبر العصور المتعاقبة،دارالكتب العلمية،بيروت،ط2019،1،ص137،136.

) الأزياء والحياة الاجتماعيي ، عبد الكريم اليافي ،مجلة المعرفة ،العدد 25، 1964/01/01 ، ص9.[20]

[21])محمد بن إدريس الشافعي،ديوان الشافعي،تح: محمد عبد المنعم خفاجي،مكتبة الكليات الأزهرية،ط2 ،1985،ص87.

[22])" البُرْنُوس" لباس تقليدي جزائري ، هو عبارة عن معطف طويل من الصوف يضم غطاء رأس وليس به أكمام يصنع من الصوف أو الوبر. أجود أنواعه على الإطلاق هو ما يصنع في مدينة الجلفة الجزائرية ويصدّر لدول الجوار، يلبسه قادة وزعماء البلاد على مر السنوات من أمثال الأمير عبد القادر الذي أصبح البرنوس من خلاله أيقونة عالمية للتحرر والإباء.

) رولان بارط ،مبادئ في الدلالة،تر: محمد البكري ، دار الحوار للنشر ، سوريا، ط2 ،1987 ،ص51/52[23]

) في فلسفة اللباس، سلامة موسى ، مجلة الهلال، العدد 5، 1925/02/01 ، ص 465. [24]

) مقال من صفحة فيسبوك الدكتور Mohieddine Amimour نشرت بتاريخ 2021/10/31 ،8:45 صباحا.

[25] https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=10226744742753157&id=1487315126#_=_

[26]) مخلوق أسطوري في الأساطير اليونانية له جسد حصان وجذع ورأس انسان،بمكن أن يكون له قرون أو أجنحة أو ذيل ثعبان وكان يعيش في الغابات وعلى الجبال ،يعتبر رمزا للجمع بين الغرائز الحيوانية والعقل الإنساني لذا عرف عنه حبه للنساء وافراطه في شرب النبيذ. الا ان بعض المخلوقات القنطورية كانت رمزا للحكمة، محبة للفلسفة،مثل القنطور "كيرون" معلم هرقل و أخيل و أسخيلوس، وفي علم الفلك يرمز القنطور إلى برج القوس.

[27]) دانيال تشاندلر،أسس السيميائية،تر: طلال وهبة،المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، ط1، 2008، ص249.

[28]) مصطلح استعرناه من المفكر نادر كاظم في كتابه تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط.

[29]) مصطلح اشتققناه في دراسة سابقة نسبة إلى شخصية رضا في كتاب اللغة العربية للسنة أولى ابتدائي لمقررات الجيل الأول للمقاربة بالكفاءات، حيث دار الكتاب كلّه حول هذا الصّنم الطفولي واختزل المنتج في شخصيته جلّ معايير الثقافة الرسمية لأبناء المركز ، لذا فمصطلح رضائي يعني ابن المركز والثقافة الرضائية هي المركزية الرسمية.

[30]) عبد الرزاق الداوي ،موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ،دار الطليعة ، بيروت ،د ت ص 17 ، 18 .

) برترانتروادك ، علم النفس الثقافي ، تر: حكمت خوري، جوزيف بورزق ، دط، د ت، ص 90،89.[31]

) نسبة للهواري بومدين لأنّ الكاتب ينتسب له بإقراره الصريح في النص .[32]

[33]) نشير هنا اعتبارا لما وقفنا عليه من تمزّخات إنسية خالصة نفترض ونحن في خاتمة دراستنا النقدية الثقافية هذه أن التمزّخ في الجملة الثقافية الإنسية يفوق بمراحل شدة التمزّخ للذات المفعول بها في الجملة الثقافية المادية. وهو أمر يستوجب اثباته مزيدا من التشريحات النقدية .

قائمة المصادروالمراجع:

المصادر

- القرآن الكريم.

2/ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، الجزء الأول، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1، 1991.

المراجع:

أ- العربية:

3/ حسن أبو العينين ،من الإعجاز العلمي في القران الكريم ، مكتبة العبيكان ، ط1، 2018.

4/ عبد الرزاق الداوي ،موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ،دار الطليعة ، بيروت ،د ت.

5/ عبد العزيز حميد، الأزياء عند العرب عبر العصور المتعاقبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2019 .

6/ محمد بن إدريس الشافعي،ديوان الشافعي،تح:محمد عبد المنعم خفاجي،مكتبةالكليات الأزهرية،ط2 ،1985.

ب-المترجمة:

7/ آلان هاو، النظرية النقدية :مدرسة فرانكفورت ، تر: ثائر ديب ، دار العين ،القاهرة ، ط1 ، 2000.

8/ برترانترودك ، علم النفس الثقافي ، تر: حكمت خوري، جوزيف بورزق ، دط، د ت.

9/ دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، ط1، 2008.

10/ رولان بارط، مبادئ في الدلالة، تر: محمد البكري، دار الحوار للنشر، سوريا، ط2 ،1987 .

ج-المقالات :

11/ سلامة موسى، في فلسفة اللباس ،مجلة الهلال ،فيفري 1925، العدد 5.

12/ سيد محمد كيلاني، الأفندية، كيف تسللت الأزياء الأوروبية إلى بلادنا ، مجلة الدوحة، العدد 5، مايو1986

13/ صالح خرفي؛ اللغة العربية هوّيتنا القومية ،مجلة الفيصل ، عدد218 ،السعودية ،السنة 1995 .

14/ عبد الكريم اليافي، مجلة المعرفة، الأزياء والحياة الاجتماعيى، العدد 25، 1964/01/01 .

د-مو اقع الكترونية :

15/ https://cultivatingalternatives.com/2013/11/28/summary-vibrant-matter-by-jane-bennett